

الاحوال الدينية في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام

إن الديانات والعقائد التي ظهرت في منطقة شبه الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام متعددة ويمكن اجمالها بما يأتي:

عبادة الاوثان

والمقصود بالعقيدة الوثنية، هي تلك العقيدة القائمة على عبادة الأوثان، وترجع نشأتها إلى فترة بعيدة جدا قبل ظهور الإسلام، وقد جاء أصل تلك العقيدة من عبادة الأحجار التي ليس لديها شكل، ولكن تطورت فيما بعد، عندما قاموا بنحت الأحجار، لتصبح أصناما ذات أشكال متعددة، وعلى الرغم من أن العرب كانوا يعبدون الأصنام والأوثان.

انتشرت الوثنية بين العرب قبل الاسلام انتشاراً واسعاً، واشتهر هؤلاء بعبادة الاصنام والاثان، وقد اتخذت الهة من دون الله، وكانت الاصنام على اشكال مختلفة فمنها؛ ماكان على صورة انسان مثل تمثال ود والعزى وكذلك سواع، او على صورة حيوان كيغوث ويعوق، او على صورة جماد، فقد كانت اللات صخرة مربعة او صخرة بيضاء منقوشة.

لكن في اي زمن بدأت عبادة الاصنام عند العرب؟ يبدو ان تحديد هذه المسألة صعب جدا، ويبدو ان الشعوب المجاورة للعرب آنذاك كانت متقدمة في مسألة الاعتقادات والديانات، وعليه فان اتصال العرب بهذه الشعوب هو حلقة الوصل التي افضت الى دخول هذه الاعتقادات اليهم.

هناك روايات تفيد ان تأليه الاحجار او تقديسها يرجع الى فترة ما قبل اسطورة (عمرو بن لحي) الذي جلب الاصنام من الشام وكان على راسها هبل، فقدم به الى مكة وامر الناس بعبادته وتعظيمه.

فالعرب عندما بدأوا ينزحون عن مكة، بعد بناء نبي الله ابراهيم لها مع ابنه اسماعيل، ولما كانوا يعظمونها ويقدمون حجارتها، اخذوا يحملون معهم في ترحالهم بعضا من حجارتها ومن كانوا

يعظمونها ويقدمون حجارتها اخذوا يحملون معهم في ترحالهم بعضا من حجارتها ومن الحجارة المجاورة لها، تيمنا بقدسيتهما والوهيتهما، وايضا حلوا كانوا ينصبون هذا الحجر ويطوفون حوله كطوافهم حول الكعبة، ومن هنا بدأت قدسية الحجر، ثم ارتقي الى التأليه فالعبادة.

وهناك خلط بين الصنم والوثن، ولم يكن الفصل واضحا بينهما، فالأصنام هي تلك الاشكال التي صنعت اما على صورة انسان او حيوان، ومن خشب او فضة او اي معدن آخر، ووضعن في حضرة الآلهة.

أما اوثان هي تلك الاشكال المصنوعة من احجار وقد لا تكون شكلا محددًا ايضًا، وهي تعتبر مقدسة وقد عبدها اعراب قياسا، على ما عرفوه من قدسية احجار الكعبة، وغالبا ما تكون الاوثان احجارا صغيرة أو كما يقولون الوثن هو الصنم الصغير.

والذي يعيننا في موضوعه الاوثان والاصنام، ان هناك انتشارا واسعا لعبادتها، وانه لم يكن في قريش رجل بمكة الا وفي بيته صنم، وان كثرة هذه المشخصات لا تعني بالضرورة كثرة الالهة، فقد تكون هذه المشخصات العديدة ترمز الى اله واحد، وقلما سمعنا ان للقبيلة الواحدة عدة الهة، كما انه يبدو لنا ان العربي كان متعلقا بآلهته وهو الذي استمات في الدفاع عنها عند نزول الاسلام.

الديانة اليهودية

انتشرت اليهودية في جهات متفرقة من بلاد العرب ومنها خيبر ويثرب ووادي القرى وفدك وتيماء والجنوبية العربية، ويرجع ظهور اليهودية في جزيرة العرب الى هجرة الجماعات اليهودية من ارض فلسطين ونزوحها الى الجهات القريبة من بلاد العرب في بادئ الامر ثم انتشارها في باقي الانحاء، ويرى علماء تاريخ الأديان ان هجرة اليهود حدثت بعد اصطدامهم بالقيصر تيتوس وهدمه الهيكل سنة ٧٠م وازدياد تلك الهجرة على عهد القيصر هادريان سنة ١٣٢م.

وكان للقوافل التجارية بين العرب الجنوبية وبين بلاد الشام الاثر في انتقال الجماعات اليهودية الى الأراضي الخصيبة من جزيرة العرب ، وكانت هناك جاليات يهودية في اليمن على اتصال دائم بأبناء عمومته من يهود بلاد الشام، خاصة وان طبيعة اليهودي نفسه تجعله ينظر دائما وفي المقام الأول الى العامل الاقتصادي والمنفعة الشخصية ومن اجلها يضحي بكل ما هو غال، فهاجروا من مواطنهم الاصلية الى مناطق الخير الوفير والسعة في الرزق والثروة وهو لا يبالي في سبيل ذلك بتبشير او نشر عقيدته بين الناس.

كانت منطقة يثرب المركز الرئيسي لليهودية في جزيرة العرب ذلك ان المهاجرين من اليهود ساروا الى الجنوب في اتجاه يثرب واستقر رايهم على الإقامة فيها، فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان احد اودية يثرب، ونزلت قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور، ثم جاء بعدهم بنو قينقاع وغيرهم، وكان في يثرب قبل هجرة اليهود اليها كثير من البطون العربية، وقد اكرم العرب وفادة اليهود اليهم وسمحوا لهم بالعيش في سلام بين ظهرانيمهم، وظل الحال على ذلك حتى قويت شوكة اليهود وصاروا سادة المدينة.

وعلى الرغم من ذلك فقد عاش اليهود متكئين مستقلين ووجهوا اهتمامهم الى النواحي الاقتصادية، فاحترفوا التجارة والزراعة وبعض الحرف مثل الصياغة، وكانوا يقرضون الأموال بالربا الفاحش لجيرانهم العرب، وكانوا يعيشون في حماية سادة القبائل يؤدون لهم اتاوة في كل عام مقابل حمايتهم لهم ودفاعهم عنهم ومنع الاعراب من التعدي عليهم وقد لجأوا الى عقد المحالفات لتحقيق أهدافهم.

كان لليهود في جزيرة العرب أماكن للعبادة تعرف بالكنيس، وكنيسة اليهود تميزها لها عن الكنيسة موضع عبادة النصارى، كما كان عندهم مواضع يتدارسون فيها مع رجال الدين احكام شريعتهم واخبار رسلهم وانبيائهم وما جاء في كتبهم الدينية من أوامر ونواه، وهي الأماكن التي يقال

لها المدارس وبيت المدارس، وكان المدارس دار ندوة لليهود، يجتمعون فيه للتزاور وللبحث في شؤونهم والبت في القضايا الجسيمة، واليه كان يقصد العربي المتهود حين يعن له امر من الأمور.

الديانة المسيحية

دخلت النصرانية بلاد العرب وانتشرت فيها بالتبشير وليس بطريق الهجرة الذي اتبعته الديانة اليهودية هناك، فلم تحدث هجرات نصرانية الى الحجاز وبلاد اليمن، وكان التبشير يتم بدخول بعض النساك والرهبان الى جزيرة العرب ومنهم من رافقوا البدو الاعراب وعاشوا معهم وجاروهم في عيشتهم وطرز حياتهم، التي تتميز بالحل والترحال والإقامة في الخيام فعرفوا ((بأساقفة الخيام)) وأساقفة اهل الوبر وأساقفة العرب البادية.

وكان لإتقان المبشرين كيفية التأثير ووسائل الإقناع والمنطق، فضلا عن براعتهم في مداواة بعض الامراض، ان تمكنوا من ضم بعض سادات القبائل والاعراب الى الدين الجديد، وبذلك ضمن المبشرون مساعدتهم وحمايتهم، فعاشوا في كنفهم في امن وسلام واخذوا في نشر دينهم في انحاء جزيرة العرب.

انشأ النصارى في جزيرة العرب كثيرا من الاديرة، كوسيلة من وسائل التبشير ونشر ديانتهم، فقد اعدوا الدير للقوافل التجارية ليجد فيها التجار كل وسائل الراحة والاستماع خلال رحلاتهم وأسفارهم الشاقة وكانت هذه الاديرة تشتهر بالخمور والنبيد، الذي كان يتم صنعه على ايدي الرهبان انفسهم، واثناء اللهو وشرب الخمور كان الرهبان يلعبون دورهم في التعريف بدينهم ويؤدون شعائرهم في حضور زوارهم ويدعونهم الى الانضمام للنصرانية، فكانت الاديرة بيوتا للخلوة والانقطاع لعبادة الله ومواطن للراحة واللهو والتبشير بالديانة المسيحية، وقد انتشرت هذه الاديرة في أماكن عديدة من بلاد العراق وبلاد الشام وفي بعض نواحي الحجاز ونجد وجنوبي جزيرة العرب وشرقها.

كان لقدم البعثات الدينية التي تتألف من الرهبان والنساك وإقامة الاديرة في بلاد العرب، ان انتشرت المسيحية هناك، خاصة ان قياصرة الروم قاموا بتشجيعها والاعداق على المبشرين بكل ما

يمكنهم من تأدية رسالتهم، وحرصوا على تحول اتباعهم الى هذه الديانة حتى يضمنوا ولاءهم، وتأمين مصالحهم الاقتصادية في جزيرة العرب.

كانت بلاد الشام تمثل المعقل الأول الذي وطدت فيه المسيحية اقدمها للعلاقات المباشرة والوطيدة مع قياصرة الروم الذين اتخذوا من النصرانية دينا رسميا لإمبراطوريتهم فانتشرت بين عرب بلاد الشام من الغساسنة اتباع القيصر، وفي بلاد العراق وجدت النصرانية لها ارضا خصبة عند اهل الحيرة.

كان لاتصال بلاد الحجاز بالحيرة وبلاد الشام ان دخلت النصرانية الى هذه البلاد، ومنها دومة الجندل وأيلة وتيماء، كما كان في يثرب ومكة والطائف قليل من المسيحيين عند ظهور الإسلام، ذلك ان جماعات من تجار مكة والطائف كانوا يذهبون في رحلاتهم التجارية الى امانة الحيرة للبيع والشراء، فكانوا يتعرفون على التغيرات والتطورات الثقافية والدينية، وينقلونها الى أبناء بطونهم وعشائهم وذلك فضلا عن قدوم المبشرين من الحيرة الى بلاد الحجاز في ركاب القوافل التجارية.

كما كان في يثرب بعض النصارى الذين كانوا يسكنون في موضع يقال له سوق النبط، وفي البحرين كان بنو عبد القيس على النصرانية.

كما انتشرت المسيحية بالتبشير في نواحي الجزيرة الجنوبية، فدخلت اليمن أيضا على يد احد المبشرين واسمه فيميون، وكان للمسيحية مركز قوة في بلاد اليمن في القرن الرابع الميلادي، فكانت هناك سفارة بيزنطية مسيحية الى الجنوب لأقناع ملوك اليمن بإقامة بعض الكنائس للمسيحيين هناك، وكان الهدف من هذه البعثة، توطيد النفوذ السياسي والديني في تلك البلاد وتأمين مصالح الإمبراطورية الاقتصادية في بلاد اليمن الخصب التي تملك زمام التجارة في البحر الأحمر.

كانت نجران اهم مواطن النصرانية في بلاد العرب الجنوبية وقد اشتهرت، بأنشاء اكبر الكنائس وافخمها في جزيرة العرب في عهد الاحباش، وعرفت بكعبة نجران او بيعة نجران كما جاء في نص ابرهة، اذ كان اهل اليمن يطلقون على الكنيسة اسم البيعة.

الديانة الحنيفية

كان هناك طائفة من العرب، احجمت عن الوثنية وعن الصابئة والمجوسية وغيرها من الديانات التي انتشرت في بلاد العرب، واتخذت من عقيدة إبراهيم الخليل عليه السلام دينا لهم، وهو الدين الذي يدعو الى عبادة الله الواحد الاحد، وقد عرف هؤلاء بالحنفاء لقوله تعالى: (حنفاء لله غير مشركين)، وهم الذين كانوا قد تجنبوا الناس، وطاف بعضهم في الأرض بحثا عن دين إبراهيم الحنيف، وكانوا يقضون ايامهم ولياليهم في تأمل الكون الذي يعيشون فيه، وقد تجنبوا فعل المنكرات التي اعتاد العرب عليها وتفشت في مجتمعهم ومنها شرب الخمر ولعب الميسر وغيرها، ونصحوا الناس بالابتعاد عن الوثنية والتقرب الى الله، فهم مسلمون كغيرهم من المؤمنين الذين عبدوا الله على حق منذ بدء الخليقة وحتى ان يرث الله الأرض ومن عليها، وقد ساحوا في البلاد بحثا عن الدين الصحيح، دين سيدنا إبراهيم، فوقفوا على اليهودية والنصرانية فلم يجدوا فيها ما يطمئن اليه في اشباع رغباتهم الروحية، فقد التقوا في اثناء اسفارهم بأحبار اليهود وبعلماء من النصارى.

وكانوا ينبذون عبادة قومهم وما كانوا عليه من ضلال وكونوا جماعة خرجت على عبادة قريش، فلم يشتركوا معهم في اعيادهم ولم يشاركوهم في عبادتهم.

ويمكن القول عن الحياة الدينية في بلاد العرب قبل الإسلام، ان العرب لم يكونوا على دين واحد، بل كانت هناك أكثرية وثنية تعبد اصناما عديدة، لكل قبيلة صنم او جملة اصنام تقدها وتتقرب اليها بالهدايا والنذور، والقرايين طالما جر عليها ذلك السعد والتوفيق والخير الوفير، فاذا ما تعرضت القبيلة لكارثة او أشرفت على الهلاك تتكرت لأصنامها فعبدت غيرها، وكثيرا ما التقط

العربي الحصي وقذفه في وجه الصنم او قام بتحطيمه عندما يحس ان صنمه المعبود جلب عليه سوء الطالع واصابه بخيبة امل.

والى جانب الغالبية الوثنية كان هناك أقليات يهودية سكنت البقاع الخصيبة من جزيرة العرب فجل اهتمامها الثروة والرخاء الاقتصادي، وهي لا تبالي بعد ذلك بالتبشير ونشر عقيدتها لذلك تركزت منازلها في يثرب واليمن والبحرين.

كما كان هناك أقليات أخرى نصرانية، اهتمت بالتبشير وبالانتشار في كل مكان من الجزيرة من اجل سيادة الإمبراطورية البيزنطية وتوطيد نفوذ القياصرة في تلك المناطق الغنية التي تتحكم في اهم طرق التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب والتي تمثل العمق الاستراتيجي بينها وبين الد أعدائها الإمبراطورية الفارسية، فكان الروم يؤيدون المبشرين ويبدلون لهم المال ويتقربون اليهم ويبعثونهم الى ابعد ما يمكن ان يصلوا اليه في جزيرة العرب.

كذلك ظهرت طائفة من العقلاء الذين رفضوا عبادة الاصنام وسفوها وراي القائلين بها، وساحوا في البلاد يسالون الهداية وبيحثون عن ديانة إبراهيم الخليل دين التوحيد الخالص فلما اهدوا اليه اعتنقوا هذه الديانة، وعرفوا في التاريخ بالحنفاء الذين كانوا موحدين، يعبدون الله عز وجل وحده لا شريك له، لم يدخلوا في يهودية ولا نصرانية، وقد أشار القران الكريم الى هذا الدين الحنيف، دين سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي اعتنقه الحنفاء في قوله تبارك وتعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران: ٦٧].

وفي وسط هذا الخضم الهائل من التخبط الديني والفراغ الروحي، ظهر الإسلام في بلاد العرب التي شرفها الله بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا، فبعثه بالهدى ودين الحق ليهدي البشرية جمعاء الى سواء السبيل وينقذها من الشرك والضلال.